ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه ولقبه ومولده.

نشأته وشيوخه ورحلاته.

صفاته.

آثاره.

تلاميذه.

ثناء العلماء عليه ومآثره.

وفاته.

ترجمة المؤلف

*** اسمهُ ونسبهُ ولقبهُ ومولدهُ:**

هو عليٌّ بنُ حسامِ الدّين بنِ عَبْدِ الملك بن قاضي خان الهندي، ثم المدني، فالمكي، القادري الجشتي الشاذلي، علاء الدين الشهير بالمتقيّ، ولد بمدينة برهانفور سنة (٨٨٥ هـ)، وأصله من جونفور.

*** نشأتهُ وشيوخهُ ورحلاتهُ:**

نشأ ـ رحمه الله تعالى ـ على العفة والصيانة في كنف والده، ولما بلغ عمره ثمانيَ سنين جاء في خاطر والده أن يجعلَه مُريداً للشيخ بهاء الدين البرهانفوري الصوفي الملقب بالشيخ «باجن»، فلما بلغ سن الرُّشد اختارهُ الشيخ ورضي به؛ ولمّا تُوفي الشيخ لازم ابنه، وكان في بدايته يتكسب بصنعة الكتاب لقوته وقوت عياله.

ثم سافر إلى الملتان فدرّس على الشيخ حسام الدين المتقي الملتاني ولازمه سنتين، فقرأ عليه «تفسير البيضاوي»، و«عين العلم».

ثم سافرَ الشيخُ في سنة (٩٥٣هـ) إلى الحرمين الشريفين، فأَخَذَ الحديثَ عن الشيخ أبي الحسن البكري الشافعي، وأخذ عنه وعن الشيخ محمد بن محمد السّخاوي المصري السُّلُوك على طريقة القوم، وقرأ كذلك

الحديث والفقه على الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي المكي، وأقام بمكّةَ المشرّفة مجاوراً للبيت الحرام.

ووفد إلى الهند مرتين في أيام السُّلطان محمود شاه الكجراتي، وكان السُّلطان يُعظِّمهُ كثيراً، فلمّا وفد عليه من مكّةَ لم يدع لهُ حاجة إلا وقضاها، ثم في الموسم عاد الشيخ إلى مكة موسوراً، فَعَمَّرَ بيتاً بالقُرب مِنْ رِباطه بسوق الليل لسكناه؛ لهُ حوش واسعٌ يشملهُ ويشمل أتباعهُ والمنقطعين إليه من أهل السِّند، وكان يُعْيلُ كثيراً وَيُعْين عن الوقت من سألهُ، وكان لهُ في وقف السُّلطان المتجهز في كل سنة مدة حياته مبلغٌ يكفيه ومَن يَعْول، وظهر الشيخ بمكّةَ غاية الظهور، حتى نَمَا خبرهُ إلى السُّلطان العثماني سليمان بنِ سليم خان، فكتب إليه يلتمس الدّعاء منهُ، وكان يُواصلهُ مُدة حياته.

ثم دخل الهند ثانياً، واجتمع بالسُّلطان محمود شاه، وبعد أيام، قال الشيخ له: هل تعلم ما جئت لهُ؟ فقال: وما يدريني! فقال: سَنَحَ لي أن أزن أحكامك بميزان الشريعة، فلا يكون إلا ما يوافقها، فشكر السُّلطان سعيه وأجابه بالقَبول، وأمر الوزراء بمراجعته في سائر الأمور، فنظر الشيخ في الأعمال والسوانح أياماً واجتهد في الأحكام، فأمضى ما طابق الشرع ووقف فيما لم يطابق؛ فاختلف الحال بعدما كان الوزراء لهم مُطلق التصرف في شؤون المُلك؛ وكان الشيخ قد التزم طريقة الشيخين رضي الله عنهما في رعية ليس كرعيتهما مع غُربة الدِّين وقلة المؤيدين، فأخذوا يكيدون للشيخ؛ وكان الشيخ قد اتخذ أخص تلاميذه واسمه: «شيخ جيله»، وكان يظن فيه الخير ويتوسم فيه الأمانة وحسن التدبير، فاستخلفه

عن نفسه في تحقيق الأمور العارضة؛ فدس له الوزراء من يُرشيه في قضية امرأة بإيعاز منهم، ومعها مصاغ مرصع بالجواهر رشوة له، وأسلمته لزوجته بحضوره؛ فزاغ عن الطريق، ورجعت إلى الوزير تُخْبره، فدخل على السُّلطان، وقال له: تعطلت المعاملات القانونية والرسمية، ولم تبرأ الشريعة من تدليس الرشوة، والشيخ من رجال البركة لا من عمال المملكة، وهنا امرأة بذلت لوكيله رشوة كذا وكذا، فقال السُّلطان: أين هي؟ فأحضرها فسألها؟ فأخبرت بما حصل؛ فاستدعى السُّلطان وكيل الشيخ وسأله؟ فأنكر، ثم جمع بينه وبينها، فقالت: أنا آتيك به، وفعلت؛ فتأثر السُّلطان وردَّ الحكمَ إلى الوزير على ما كان عليه في سالف الأيام .

ثم بلغَ الشيخَ ذلك، فنوى الرُّجوعَ إلى مكَّةَ، وتوجّهَ إلى سركهيج، وعَلِمَ به السُّلطان فأرسل إليه غير مرة يسأله الرُّجوعَ، فلم يُجِبْ، ثم حَضَرَ الأُمراء الكبار لتسليته من جانب السُّلطان، فأخذ الشيخ يُبين لهم ما قيل في الدُّنيا، ومن ذلك ما رُوي عن النبي ﷺ: «ليس خيركم من ترك الدُّنيا للآخرة، ولا الآخرة للدُّنيا، ولكن خيركم من أخذ هذه لهذه».

قال الشيخ: ظاهر الحديث فيه رخصة، إلا أن من الأدب أن يُقتصر على ما يكفي ولله سبحانه أن يُبارك له فيه.

وبينما الأُمراء لديه جاء السُّلطان إليه يسأله إقامته في المُلك، وليعمل في دنياه لآخرته بيُمْنِ صُحبته؟ فأجاب بأن مكّةَ شرفها الله تعالى تشتمل على مواطن الإجابة، والدعاء لكم بها أوْفق للحال وأصلح للمآل، وقديماً قيل: إنّ الدِّين والدُّنيا ضرتان لا تجتمعان؛ وتوجه إلى بندر كهوكه، ومنها ركب البحر راجعاً إلى مكة.

*** صفاته:**

كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ زاهداً ورعاً مُؤثراً للعُزلة كثير الصمت لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة في الحرم، ثم يرجع مُسرعاً، وكان نحيف البدن لا تكاد تجد عليه أوقية لحم من كثرة الجوع، حيث كان لا يتناول من الطعام إلا شيئاً يسيراً على غاية من التقلُّل والتقشف، حتى كان إذا زاد غذاؤه ـ ولو قدراً يسيراً ـ لم يقدر على هضمه.

ونُقل عنه في أواخر عُمره أنه كان يقول: وددت أن لم أفعل ذلك؛ لما وجد من الضعف في جسده عند الكبر.

*** آثاره:**

كان للشيخ المتقي حَظٌّ وافرُ من التصانيف بلغ عددها نحو مئة مؤلف ما بين صغير وكبير، توزعت عنواناتُها بين السلوك والزهد والحديث، وقال الشيح صديق حسن خان: وقفت على تواليفه فوجدتها نافعة مُفيدة ممتعة تامة.

وكان يُتْقن صنعة الكتابة، حيث ذكر الشعراني أنه لما ورد مكّةَ التقى به فأطلعه على مصحف كتبه بيده في ورقة واحدة كل سطر منها ربع حزب!.

وأليك أسماء بعض ما وقفت عليه من كتبه:

١ ـ إرشاد العرفان وعبارة الإيمان.

٢ ـ البرهان الجلي في معرفة الولي، بالفارسي.

٣ ـ البرهان في علامات المهدي في آخر الزمان، لخصه من كتاب «العرف الوردي في أخبار المهدي» للسيوطي، ورتبه على التراجم والأبواب،

وزاد عليه بعض أحاديث «جمع الجوامع»، وبعض أحاديث «عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر».

٤ ـ تبين الطريق إلى الله تعالى.

٥ ـ تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان.

٦ ـ تلقين الطريق في السلوك.

٧ ـ جوامع الكلم في المواعظ والحكم.

٨ ـ الحكم العرفانية في معان إرشادية وإشارات قرآنية.

٩ ـ الرتبة الفاخرة في نصائح الملوك.

١٠ ـ رسالة في إبطال دعوى السيد محمد بن يوسف الجونفوري.

١١ ـ الرق المرقوم في غايات العلوم.

١٢ ـ شرح الحكم لابن عباد.

١٣ ـ العنوان في سلوك النسوان، كتابنا هذا.

١٤ ـ غاية الكمال في بيان الأعمال.

١٥ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ وهو أشهر كتبه ـ جمع فيه بين الجامع الصغير وجمع الجوامع للسيوطي؛ فبوب أولاً كتاب الجامع الصغير وزوائده وسماه: «منهج العمال في سنن الأقوال»، ثم بوب بقية قسم الأقوال وسماه: «غاية العمال في سنن الأقوال»، ثم بوب قسم الأفعال من جمع الجوامع وسماه: «مستدرك الأقوال»، ثم جمع الجميع في ترتيب كترتيب جامع الأصول وسماه: كنز العمال.

وكان شيخه أبو الحسن البكري الشافعي يقول: إن للسيوطي منّةً على

العالمين، وللمتقي منّةً عليه.

١٦ ـ مجمع بحار الأنوار في شرح مشكل الآثار .

١٧ ـ مختصر كنز العمال.

١٨ ـ مختصر النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

١٩ ـ المواهب العلية في الجمع بين الحكم القرآنية والحديثية.

٢٠ ـ النهج الأتم في ترتيب الحكم.

٢١ ـ الوسيلة الفاخرة في سلطة الدُّنيا والآخرة.

*** تلاميذه:**

كان من آثار الشيخ تلاميذ نُجباء أشهرهم:

١ ـ إبراهيم بن داود الأكبر آبادي القادري.

٢ ـ القاضي عبدالله بن إبراهيم العمري السندي.

٣ ـ الشيخُ عبدُالله بنُ سعد الله السندي.

٤ ـ الشيخ عبد القادر بن أحمد الفاكهي.

٥ ـ الشيخ عبد الوهاب البرهانفوري المكيّ المتقيّ، لازمه (اثنتا عَشْرَة) سنة.

٦ ـ الشيخ عليُّ بنُ محمّدٍ بنِ عبد الصمد الأنصاري، الباني بتي.

٧ ـ الشيخ محمد بن طاهر الفتني الشهير بملك المحدثين.

٨ ـ الشيخ محمد بن أبي محمد الشافعي النائطي.

*** ثناء العلماء عليه ومآثره:**

كان الشيخ المتقي ـ رحمه الله تعالى ـ زاهداً ورعاً كريم النفس، ذا

سخاء وجود، وكان يُعْيل كثيراً من الطلبة، ويُعْين عن الوقت من سأله، ويُعطي بلا مسألة .

ورد في سنة ٩٤٧هـ القاضي عبدالله بن إبراهيم العمري السندي بلدة كجرات في طريقه إلى الحرمين، والتقى فيها بالشيخ المتقي، وكان المتقي مرزوقاً لقبولَ في بلاد كجرات ـ وكان سُلطانها بهادر شاه مُقدراً لفضل الشيخ المتقي وراغباً في القُدوم عليه، والمتقي لا يرضى ذلك، فشفع له القاضي، فقال له المتقي: كيف يجوز أن يأتيني بمنكراته، ولا آمره بالمعروف ولا أنهاه عن المنكر! فأجاز له بهادر شاه أن يأمره بما يشاء وينهاه عما شاء، فأذن له المتقيّ؛ فدخل عليه السُّلطان وقبّل يديه، ثم بعث إليه بمئة ألف، فتفضل المُتقي بها على القاضي، فصارت له زاداً وراحلة إلى الحرمين الشريفين، وأقام بالمدينة مدة حياته .

وبلغ من محاسنه ومناقبه أن أفردها تلميذه الشيخ عبد الوهاب المتقي في كتاب سماه: «إتحاف التقي في فضل الشيخ علي المتقي».

وأيضاً لتلميذ الشيخ عبد الوهاب المتقي؛ الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي كتاب في سيرة الشيخ علي بن حسام الدين المتقي والشيخ عبد الوهاب المتقي، وغيرهما من المشايخ، اسماه: «زاد المتقين في سلوك طريق اليقين».

وكذلك فعل تلميذه الآخر الشيخ عبد القادر بن أحمد الفاكهي المكي في تأليف سماه: «القول النقي في مناقب المتقي».

قال الفاكهي في كتابه المذكور: ما اجتمع به أحد من العارفين: أبي الحسن البكري، وشيخنا الفقيه العارف الزاهد الوجيه العمودي، وشيخنا

إمام الحرمين الشهاب ابن حجر الشافعي، وصاحبنا فقيه مصر شمس الدين الرَّمْلي الأنصاري، وشيخنا فصيح علماء عصره الشمس البكري، ولكل من هؤلاء الجلة عندي ما دلَّ على كمال مدح شيخنا المتقي بحسن استقامته، والاستقامة أجلُّ كرامة.

*** وفاته:**

تُوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الثلاثاء وقت السحر ثاني جُمادى الأولى سنة خمس وسبعين وتسع مئة بمكَّة المباركة، ودفن صبح تلك الليلة، ومدفنه بالمعلاة بسفح جبل مُحاذي تربة الفُضيل بن عياض، بين قبريهما طريق مسلوك عند محل يقال له: ناضر الجيش.

❐ ❐ ❐